مجموعة قصصية

قبلة على جبين أمي

مجموعة من المؤلفين

تحت إشراف

إيمان صغير

د. محمد مهداوي

حورية قاسمي بنعمرو

كتاب إلكتروني

إسم الكتاب : قبلة على جبيني أمي

تأليف: مجموعة من المؤلفين

الدول: المغرب – مصر – تونس – الجزائر – الأردن - العراق

الرقم الدولي EBIN 54-1-11-250902

دار الأدب العربي المغربية الإلكترونية

+688 212-479804

Adabarabi94@Gmail.com

إهداء

كتاب "قُبلة على جبين أمي" ليس مجرد حروفٍ مرسومة على الورق ، بل هو إحساس نابض من أعماق قلب كل كاتب.

● إلى من كرّمها الله من فوق سبع سماوات، وأوصى بها خيرًا رسولنا الكريم محمد ﷺ.

● إلى نبع الحنان الذي تجسّد فيه الحب والوفاء بكل تفاصيله.

● إلى أمي وأمهاتكم، أهدي هذا الكتاب؛ سواء كنّ على قيد الحياة أو قد رحلن عنا إلى رحمة الله.

ونرجو أن ينال استحسانكم.

تقديم

ا . رمزية الأم في الأدب؟

أن تكتب عن الأم، كأنك تكتب عن لغز من الألغاز المحيّرة، كأنك تبحث عن إبرة في محيط لا ساحل له ولا شطآن. كل القواميس تضمحل أمام عظمتها وهيبتها، وكل المشاعر والأحاسيس، رغم قوّتها وجبروتها، لا تستطيع أن تعبّر عن لحظة رُعب أو خوف عاشتها الأم وهي تنتظر ابنها في سويداء الليالي الباردة، أو لحظة مخاض، كانت فيصلا بين الموت والحياة...

لا تكفي قبلة على جبين الأم لردّ الاعتبار لها، ولا تكفي لحظة دفء بين أحضانها لتعويض ما بذلته من تعب ومجاهدة، لأنها وباختصار شديد، هي ملاك فوق هذه البسيطة، تضحي دائمًا من أجل أبنائها دون مقابل. لذا وضع الله عز وجل الجنة تحت أقدامها الكريمتين. وقد صدق جبران خليل جبران حين قال" :الأم هي كل شيء في هذه الحياة: هي التعزية في الحزن، والرجاء في اليأس، والقوة في الضعف"، وقال عنها فكتور هوغو" :أعظم كتاب قرأته: أمي". أما أناتول فرانس فعبّر عنها بقوله" :أم واحدة تعادل مئة معلم".وتغنى بها الشعراء أيضًا و قصيدة إبراهيم ناجي خير مثال:

الأم مدرسة إذا أعددتها ●●●أعددت شعبًا طيّب الأعراق

أما محمود درويش فأنشد:

أحنُّ إلى خبز أمي
وقهوة أمي
ولمسة أمي...

II. مضامين وتيمات النصوص السردية

التيمة المستحوذة على مجمل المتون السردية في هذه المجموعة القصصية:" قبلة على جبين أمي هي التمجيد والاحترام والافتخار... الأم في النصوص تتقمص عدة أدوار، ربة بيت، عاملة، مناضلة، تاجرة، فلاحة... هي جزء لا يتجزأ من المجتمع، بل عنصر فاعل ومنفعل مع غيره، تتميز بصفات عظيمة قد لا نجدها عند الرجال، مثل التضحية، الصبر، الإيثار، الشجاعة، المعاشرة الطيبة، وتنفرد بخصال إنسانية سامية أخرى كالرحمة والعطف والمودة والأحاسيس الجياشة.

تلين وقت اللين وتشتد وقت الشدة، والغريب في الأمر، لم يُسجّل نص واحد في هذه المجموعة القصصية يثبت تخلي الأم عن

مسؤولياتها تجاه أبنائها. بل هناك من ضحّت بزهرة شبابها من أجل فلذة أكبادها، مسترخصة راحتها وصحتها في سبيلهم.

ومن الملفت للنظر أن دور الأب جاء ثانويا في أغلب النصوص، بينما الأم انفردت بكل شيء، وأغلب الأمهات في هذه المتون قدمن الغالي والنفيس ليعيش أبناؤهن في كنف الكرامة والأنفة ورغد العيش. ومن أعظم الأقوال المستنبطة من نصوص قصاصينا، والتي توثق وتؤرخ للأم الواعية بدورها في خدمة الأبناء دون مقابل ما يلي:

اسم القصة	كاتبها	من أقوال الأم الخالدة
قبلوا جبيني	الشهبي أحمد من المغرب	إذا متّ، قبّلوا جبيني... واغفروا لي نسيان الأيام..
امرأة يقطر من كفيها المطر	محمد محمود غدية من مصر	على المرأة أن تكون بمثابة الأمان للرجل، والفرملة التي تمنع سقوطه فى هاوية الشرور
قرابين الفداء	أحمد خوجة المغرب	كان يرى أمه في كل أمٍّ تمسك بيد طفلها، في كل ضحكة تُغلّف بالدفء، في كل نداء فيه "ولدي..."
لن أفهم	سالم المتهني من تونس	إني أحبها أكثر، لا أدري لماذا؟ ربما لأني كنت في بطنها ورضعت من لبنها وتعلمت منها الحروف الأولى.
الأم بركة	جواد العوالي	الأم ليست حدثا يمرّ، بل زمنٌ يُقيم فينا...
الزيارة	يحي زروقي	أقسمت الأم أن تتحدى الجميع، وأن تصبح الأب والأم معا
حلم أم وابنتها	محو خديجة المغرب	كانت أمها رفيقتها في شغفها، تشجعها وتدعمها بالدعاء، فكل نجاح حصلت عليه، كان نجاحا لها ولأمها...
حقيقة أم حلم	أمينة نور الدين	وسأطبع كل صباح و كل مساء قبلات ليست كباقي القبلات على جبينك الغالي يا أمي الحبيبة .
تاج الأكوان	خديجة آلاء شريف	كانت أمي أجمل من اللؤلؤ، وأصفى من الأنهار، وأحنّ من القصائد نفسها. كانت هي الحياة إذا ابتسمت، والوطن إذا احتضن أبناءه.

أمي في زمن الاحتلال	فاطمة يشوتي من الأردن	أمـي.. أمـي الغاليـة.. مـال عليهـا يقبـل جبينهـا ويـديها وهي من صدمت اللقاء تصرخ ولدي.. ولدي..
شهادة عرفان بالجميل	زينب العيناوي من المغرب	الأمانــة التـي تركهـا لهـا زوجهـا-لـم تـنس وصـيته لهـا وهو يحتضر : اعتني بهم، فهم أمانة في عنقك.
أُردُّ علي ولدي	عبد الكريم حنون السعيد من العراق	حيث تنتظر عودة ولدها قريبًا، وتحـتفل بزواجه من ابنـة الجيران...
حين تحضنني أمي	سعاد برمضان من المغرب	جلست قـرب سـريره. لـم تـتكلم كثيـراً، فقـط وضـعت يـدها على كتفه وهمست: معك يا بني... حتى النهاية.
قبلة على جبين أمي	صابر فاطمة من المغرب	تـذكرتُ أنهـا طـوت سـنواتٍ مـن عمرهـا لتربينـي. تـذكرتُ أنها الشمعة التي احترقت لتنير دربي!
قبلة على جبين أمي	عبد الخالق فتحي من المغرب	تـذكرتُ أنهـا طـوت سـنواتٍ مـن عمرهـا لتربينـي. تـذكرتُ أنها الشمعة التي احترقت لتنير دربي!
ذكرى الياسمين	وفاء عمر بن صديق	وفـي الهزيـع الأخيـر أقمـتُ عزاءهـا، بكيتُهـا بحرقـة الليـالي، وسـقيت ثراهـا بـدموع الفقـد، صـرخت منتحبًـا: أمي تركتني مبكرًا جدًّا.
قلب الأم دليلها	أمل زواتي من الأردن	لقد أضحى الأبناء عيونا لأمهم ودليلها في هذه الحياة.
قبلة على جبين أمي	إيمان صغير من المغرب	أغمضـت عينيهـا فجـأة، فصـرخت : أمـي افتحـي عينيـك أرجوك امي انظري إلي.

III الخصائص السردية والبنائية

معظم النصوص السردية التي يتضمنها الكتاب متوسطة الحجم، وبعضها قصير أقرب إلى الخاطرة منه إلى القصة لغياب الأحداث

الواضحة، استعمال الحوار بشكل محتشم، وغياب التنامي السردي أحيانًا. ومع ذلك، لا يسعنا إلا أن نشد على أيدي الكتّاب ونتمنى أن تتلاقح الأفكار وتتداخل الخبرات لتطوير مهاراتهم الأدبية والفنية والتقنية.

المعجم اللغوي المستعمل غني بالدلالات الوجدانية (الشوق، الحنان، الحب، الوجع) بما يتماشى مع مضامين النصوص. اللغة بسيطة وسلسة، الجمل قصيرة، تتخللها ببعض الحوارات المقتضبة، وتستمد النصوص قوتها من تقنيات الوصف (وصف الأمكنة والشخصيات) والولوج إلى أعماق الشخصيات (مونولوغات داخلية)، رغم غياب شبه تام للفلاش باك.

ما يجمع بين النصوص السردية، تلك اللحمة العاطفية التي تجعل من الأم قدوة ومنارة يُهتدى بها، حتى تغدو رمزًا إنسانيًا جامعًا مثل "الأم تيريزا" أو "الخنساء" أو "أم ياسر"... أم معطاءة، حنونة، فاعلة، لها دور محوري في حياة الأفراد والجماعات.

IV دلالات العنوان "قبلة على جبين أمي"

للعنوان دلالات متعددة، نجملها في النقاط التالية:

- دلالة عاطفية: الحب، الحنان، الوفاء. والجبين دال على التقديس والشرف.
- دلالة رمزية: القبلة على الجبين اعتراف بالقدوة ورمز للقوة والبركة.
- دلالة دينية وروحية: القبلة على جبين الأم تجسيد للبر العملي، والجبين موضع السجود، فكأن تكريم الأم جزء من العبادة.
- دلالة فنية وجمالية: العنوان يعتمد صورة حسية (القُبلة) تنفتح على معانٍ وجدانية وروحية عميقة، كالإحساس بالدفء والاستقرار النفسي.

٧. الخاتمة

يتضح من خلال قراءتنا المتواضعة أن النصوص السردية في المجموعة القصصية: "قبلة على جبين أمي " قد تشكّلت ضمن نسق لغوي، يتأرجح بين البساطة والعمق، فالمجموعة منفتحة على معجم إنساني زاخر بدلالات مثالية عميقة، مما أضفى على المتون حرارة وجدانية صادقة. وقد ساعد التركيب اللغوي المقتضب، القائم على الجمل القصيرة والإيقاع الوجداني، في تحبيب النصوص إلى القارئ والعمل على إشراكه في هذه السرديات الحسية الدافئة.

أما من الناحية الجمالية، فنلمس نزوعًا واضحًا نحو التخييل والتصوير، إذ برع الكتّاب في استدعاء صور بلاغية واستعارات تحيل على سمو الأم ومكانتها الراقية، حيث امتزج الوصف بالتعبير الوجداني، ليشكّل لوحة فنية روحية فائقة الجمال. هكذا إذن نجحت هذه النصوص في توظيف اللغة لا كأداة نقل ونسخ جامدة، بل كفضاء جمالي، يترجم العاطفة ويعزز حضور الأم في الذاكرة الفردية والجماعية للمجتمعات الشرقية...

بقلم ذ.محمد مهداوي-بركان 20-9-2025

القاص: الشهبي أحمد من المغرب

وصيتها الأخيرة: قبّلوا جبيني

لم تكن أمي تكتب الشعر، لكنها كانت تقول كلامًا يجعل الجدران تتنفس. لم تُكمل تعليمها، لكنها كانت تفك شفرات الحياة كما لو أن بداخلها حكمة جبل. لا تملك شيئًا في هذا العالم سوى قلبها.. وهذا يكفي.

كنت طفلًا حين بدأت أميز صوتها بين مختلف الأصوات، نبرة فيها شيء من الحنان وشظايا تعب مزمن. كانت تستيقظ قبل أن يفتح الفجر عينيه، تهمس للماء وهي تغتسل به، تُناجي الخبز وهو يتخمّر، وتضع دعاءً في علبة الفطور قبل أن تُناولني إياها. لم تكن الحياة سهلة، لا علينا ولا عليها، لكنها كانت تُربّي الحياة فينا رغم كل شيء.

أذكر ذات شتاء، عدت من المدرسة متجمد الأصابع، وقد مزق المطر دفتري، وكانت درجاتي لا تسرّ خاطرًا. دخلتُ وأنا أرتجف، محني الرأس، مستعدًّا لوابل من اللوم. لكنها لم تقل شيئًا. نزعت معطفي، جففت شعري، وقدّمت لي طبق عدس ساخن وكوب شاي بالنعناع، ثم قالت: "أحيانًا... تسقط الشجرة حتى لا تكسرها الريح". لم أفهم يومها ما عنته، لكنني شعرت أني نجوت.

كبرتُ.. والبيت لم يتغيّر كثيرًا، لكن أمي تغيّرت. لم تعد تقدر على حمل الغسيل بنفسها، وصوتها صار أهدأ، كأنها تتحدث من عمق بئر. صارت تنسى أحيانًا

بـعض الأسـماء، وتكررت الحـكاية نفسـها مرتين، ثم تــعتذر وتضحك. وأنا كنت أضحك معها، وأخفي وجهي في راحة يديها، كي لا ترى أن عينيّ تفضحان قلقي.

في أحد الأيام، عدت إلى البيت بعد غياب طويل، أحمل حقيبة ملأى بالهدايا، وقلبًا مثقوبًا بالندم. وجدتها في الشرفة، تنظر إلى السماء وكأنها تنتظر شيئًا ما. اقتربتُ منها، قبّلت جبينها، فقالت لي: "تأخرتَ.. لكنه لا بأس، أنا لا أحسب الوقت بالساعة، بل بالحنين."

في تلك الليلة، سهرنا طويلًا. حكت لي عن أبي، عن جدي الذي مات في موسم الجفاف، عن أول مرة دخلت فيها المطبخ، عن أول عصفور ربّته ثم مات بين يديها. كانت تتحدث كأنها تُودّع الذاكرة، وأنا أُصغي كأنني أحتفظ بنسخة من روحها.

ثم جاء الصباح الذي لم أكن مستعدًّا له. لم توقظني رائحة الخبز، ولا صوت تسابيحها. دخلت غرفتها فوجدتها ممددة، وملامحها تبدونائمة بشكل لا يُشبه أي نوم. فوق الطاولة، وُضعت نظارتها القديمة، ومذكرة صغيرة فيها جملة بخط مهتز: "إذا متّ، قبّلوا جبيني... واغفروا لي نسيان الأيام."

وقفتُ طويلًا أمامها. العالم كله توقّف، حتى طنين الثلاجة انقطع. قبّلت جبينها، وبكيت، كما لم أفعل من قبل. تمنيت لو استطعت أن أقول لها أشياء كثيرة لم أقلها بأنني كنت أحبها بصمت، أنني حين غضبت منها كنت أحتاج فقط إلى حضن، أنني حين رحلتْ، كنت أبحث عن شيء وجدته فقط عند قدميها.

رحلت أمي.. لكن صوتها لا يزال يسكن رأسي، ورائحتها في الوسادة، ودعاؤها يطاردني كما يطارد الندى أوراق الفجر. ما عدت أؤمن بأن الغياب نهاية، لأن كل صباح أفتح فيه عينيّ، أشعر أنها هناك.. في تفاصيل اليوم، في ملوحة الخبز، في زر لم يُخط بعد، في نظرة طفل يسأل عن معنى الأمان.

أمي لم تكتب مذكراتها، لكنني أكتب عنها اليوم قبلة على جبينها، واعترافا متأخرا بأن كل ما أنا عليه الآن، يعود لامرأة عظيمة، عاشت ببساطة، وماتت بصمت، لكنها تركت في قلبي شيئًا لا يموت.

القاص: محمد محمود غدية / مصر

امرأة يقطر من كفيها المطر

أقام الأبناء والبنات والأحفاد مراسم الزينة وعلقوا البالونات، والتفوا جميعهم حول تورتة عيد الميلاد، فاليوم تحتفل الجدة بسنواتها الخمسين.

بعيد زواجها الثلاثين، أمسكت وزوجها السكين، التي غاصت في التورتة، كأنها تغوص في الزبد، وامتلأت الأطباق، بقطع التورتة والفاكهة، بعد شرب العصائر وتقبيل الجدة، التي أمسكت بثمرة تفاح قائلة:

إن طعم التفاحة ليس فى التفاحة نفسها، وليس فى فم آكلها، وإنما في اجتماعهما معا، وأضافت أنها تتحدث عن الثنائية الفريدة، بين الذكر والأنثى، على المرأة أن تكون بمثابة الأمان للرجل، والفرملة الي تمنع سقوطه في هاوية الشرور، الزوج يصل الليل بالنهار، لتوفير السلامة والأمن لأسرته، وعلى المرأة القيام بأدوار متعددة في حياة زوجها، زوجة طيبة مطيعة، دون أن تتخلى عن ذكاءها وجمالها، في كل مراحل عمرها، بالإضافة لقيامها بأدوار متعددة، الأم التي تكتشف الطفل الكامن داخل زوجها وتدلله وترعاه، وتعتني به دون كلل أو ملل، والأنثى التي توقظ فيه رجولته، ولا تدعها تخبو أو تنطفئ أبدا، والصديقة التي تشاركه همومه وأفكاره وطموحاته، تكون له المصباح الذى ينير له الطريق، وتتعلم قبل الكلام فن الإنصات، وابنة عطوف حلوة، تستثير فيه مشاعر الأبوة والجمال والحب، تختار له لون ربطة العنق الذى يتفق مع أناقة بذلته، قريبة منه

تضاحكه، إذا وجدت مزاجه غير رائق، تفتح له بساتين البهجة، وتنقل له الأخبار السارة التي يحبها، تكون له بمثابة ورق النشاف، الذى يمتص كل الشوائب، وضربت بنفسها المثل، وهى الخمسينية التي أدركت أن لكل سن جمالها، عروس اليوم تحتفل بعيد زواجها الثلاثيني، ومازال القلب يفيض بالعشق، في كل وقت وحين، وكما نتخلص من زيادة الملح في الطعام، كذلك إذا تكلم الزوج، وإذا تكلمنا نضيف لكلامنا قليلا من السكر، وكلما تعددت وتغيرت أدوار المرأة في مرونة وتجدد، فإنها تسعد زوجها، مثل طفل يسأم اللعبة سريعا، ويؤثر التجديد دائما، ويتحول اهتمامه نحو كل ماهو جذاب وجديد، في البدء كان آدم، الذي آنس في نفسه وحشة، فخُلِقت له حواء، ومثلها في باقي الكائنات والمخلوقات والنباتات وكل نواحي الحياة، وأضافت، أيتها الفراشة الجميلة، قرص الشهد الذى ينزل منه العسل، كوني ذكية جميلة، لينة مستعصية، متدفقة متهافتة، مطيعة وحانية وقاسية ومتمرسة وصعبة وعنيدة، وناعمة وسلسة في آن واحد، اِفتحوا النوافذ، وأخبروني أين ذهبت الغيوم التي كانت تملأ الكون منذ ساعات ؟

اِختفت، وانتشرت في السماء، زرقة صافية، تشبه لوز القطن، لا تتضايقوا بالغيوم، فبعد كل ليل نهار، واغفروا الأخطاء الصغيرة، لتستمتعوا بالفضائل العظمى.

القاصة: أسماء خوجة من المغرب

قرابين الفداء

وُلد يوسف يتيمًا...

في اللحظة التي تنفّس فيها الحياة، توقّف قلب أمه عن النبض. لم تُسمّه، لم تضمّه، لم ترَ عينيه، لكنها كانت قرابين الفداء، بذلت حياتها في صمتٍ كي يَكتب لـه القدر النجاة. كبر يوسف على صوت الغياب.. لم يكن يعرف كيف يبدو حضن الأم، ولا مذاق الحليب الدافئ حين يُقدَّم مع ابتسامة حانية، لكنه كبر. كبر وحيدًا، وكلما اشتد عوده، اشتد معه ألم الفقد. كان يرى أمه في كل أمٍّ تمسك بيد طفلها، في كل ضحكة تُغلَّف بالدفء، في كل نداء فيه "ولدي..."

فتحوّل إلى سجين أمومة لم يذقها يومًا، لكنه ظلّ يطاردها في ملامح النساء، في عيون الجارات، في أمهات أصدقائه. لم يكن طفلًا عاديًّا، كان يهتم بجاراته العجائز، يحمل قففهن، يساعدهنّ فيما يعجزن عنه، يُهدي الزهر، ويُجيد الإصغاء.

لم يكن يبحث عن الشكر، بل عن شعور.. شعور لم يعرفه يومًا، لكنه كان يسكن قلبه بلا اسم. كل أمٍّ كانت أمّه، وكل دعوة صادقة كانت بردًا على جراحه. كان إذا شكر أمًّا على تضحيتها، يشعر وكأنه يُعيد الامتنان لروحه الأولى.. لأمه، وكأن كل ابتسامة يراها على وجه أم، تضع بين عينيه صورة والدته الراحلة، فيبتسم بدوره، وتُشفى روحه للحظة من اللحظات...

رغم الحزن العميق الذي يسكنه، كان سعيدًا بسعادة الأمهات، وكأنها تُضمد جراحه، وتمسح دمع قلبه دون أن يشعر بهنّ. عاش بين الأمهات وتضحياتهن، غارقًا في قصته المأساوية حتى الأعماق، لكنه لم يسمح للحزن أن يُطفئ نوره. ومع الأيام، أصبح يوسف شابًّا يافعًا، ناجحًا، حنونًا. لكنه اختار أن يحوّل هذا الفقد إلى نور، وهذا الغياب إلى حكاية ملأى بالحضور. قال في نفسه:

"أمي ماتت لتحييني، فليكن اسمي حيًّا في خدمة كل أم". فأسّس جمعية سماها: "قرابين الفداء"، جمعية تعنى بالأمومة، لا تبيع الورد في يومها العالمي، بل تزرعه على أرصفة حياتها. جمعية تُكرّم الأمهات المنسيات، وتُعيد البسمة إلى وجوه كسّرتها هموم السنين.

يوسف لم يكن مجرد مؤسس، بل كان الابن الذي تتمنّاه كل أم، والسند الذي لا يتعب، والحنان الذي لا ينضب. وفي كل تكريم، كان يشعر أن روح أمه تبتسم له، وفي كل دعاء، كان يرى عينيها تقولان" : أحسنت يا ولدي.. لقد كنت نبضا من نبضاتي، فصرت قربان محبّة لكل الأمهات". هكذا أصبح يوسف، أيقونة مدينته، وولدًا لكل أم، ولدًا صاغه الحزن، وربّته الذكرى، فصار مثالًا في البرّ، ونورًا يُضيء درب كل من عرف الفقد، فمن الألم تُخلق المعجزات.. ومن الفداء يُولد الخلود...

القاص: سالم المتهني من تونس

لن أفهم

متى بدأت الحكاية؟ وهل للحكايات بدايات حقيقية؟

قد تكون البداية منذ أن ولدت، بدأت أتلمس الوجود وأعي ما حولي، وأدرك أني ابن لأب وأم سخرهما الله لرعايتي، وعشقت أحدهما أكثر من الآخر، ولم أفصح عن هذا الشعور، كنت أشعر بالذنب كلما طغى هذا الإحساس. لكن إذا سئلت من تحب أكثر أمك أم أباك؟ كنت أجيب " أحبهما بالتساوي."

إني أحبها أكثر، لا أدري لماذا؟ ربما لأني كنت في بطنها ورضعت من لبنها، وتعلمت منها الحروف الأولى، وسمعت منها القصص الأولى، وفهمت عنها التفسير الأول لوجودنا واقتنعت به " نحن أوجدنا الله ليختبرنا ونحن لا نملك أن نفعل أي شيء إلا بمشيئته وقدرته والله يحب الإنسان ولا يصدر عنه إلا الخير ."

اقتنعت بالجواب، فرحت به، ورحت أركض مع أترابي، ألعب باندفاع كبير. وكنت أتوقف بعض اللحظات وأنظر إلى السماء فأجدها كبيرة لا حدود لها..من ورائها يرقبنا الله..كنت أشعر بضآلتي وأخشى أن أقع في الخطأ .

في صباح يوم باكر، فتحت عيني على عويل أختي التي تكبرني بست سنوات. أمي ممددة على السرير تطلب منها أن تكف عن النحيب. ارتميت في أحضان أمي أسألها عما ألم بها، دفعتني برفق قائلة " لا بأس، إني في صحة جيدة،

زكام خفيف سيزول بسرعة إن شاء الله "، ثم نظرت إلى أختي نظرة ذات معنى، لم أفهمها، فأخذتني أختي من بين يديها قائلة " أُخرج والعب مع أترابك..يجب ألا تبقى هنا..." ماطلت، وتمسكت بحافة السرير، ونظرت إلى أمي أحاول أن أفهم ما الذي يجري..بدت لي أمي غريبة، شيء ما قد تغير فيها، وجهها ذهب منه تألقه، عيناها زائغتان، فقدتا لمعانهما، ممددة، لا تجول في المنزل جولانها المعتاد حتى يأتي موعد الغذاء .

جذبتني أختي بقوة ودفعتني خارج الغرفة. بعد برهة أتى أبي ومعه رجل غريب، عرفت من هيأته أنه طبيب. انزعجت كثيرا وأخذت أبكي، فأنا أعلم أن الطبيب لا يدخل ديار حيًنا إلا ويخرج متبوعا بصياح وعويل. لكني سرعان ما انجذبت إلى لعب رفاقي، فرحت أركض وأقذف ما يشبه الكرة يمنة ويسرة. ولا أدري كم من الوقت مضى وأنا أتصارع مع صبية الحي في الاحتفاظ بكتلة الورق الرخيصة بين أقدامنا، ولم أتوقف عن الجري إلا عندما جاءني أحد الجيران وحملني بين ذراعيه، وهرول بي نحو منزله، فألقيت نظرة إلى منزلنا فرأيت الجارات يدخلنه الواحدة تلو الاخرى. ثم تعالى الصياح والعويل فأيقنت أن ذلك كان بسبب زيارة الطبيب لمنزلنا وأن هذا الجار يحملني إلى منزله حتى لا أعترض سبيل هذا الزائر الغريب الذي لا يخلف وراءه إلا العويل والصياح .

زوجة الجار أحسنت ضيافتي، قدمت لي كثيرا من الحلوى ومجموعة من العيدان والعلب الفارغة أتسلى بها، لكني كنت عازفا عن كل ما يقدم لي، ولم أطمئن لهذه الحفاوة الغريبة، ولم أقنع بالتفسير الأول لسبب العويل والصياح اللذين

يصدران من دارنا دون ديار الحي. فنهضت من مكاني متجها نحو باب المنزل فاعترضتني الجارة وحالت دون خروجي، عند ذلك أيقنت أن الجماعة يخفون أمرا ما وقع في بيتنا. فأخذت أبكي وأصيح وأركل برجليَّ الحافيتين الباب الخشبي .

انقضى ذلك اليوم بين محاولتي الخروج من دار الجيران وإقناعي بالعدول عن رغبتي بشيء من الفاكهة أو الحلوى. يومها أحسست بتعب شديد لم أتعوده، ونمت باكرا بعد أن بحَّ صوتي من العويل و ثقلت جفوني من كثرة البكاء، نمت بين صبية الجار تحت غطاء واحد .

في مساء اليوم الموالي جاءتني أختي صفراء الوجه كأنها الموت، محمرة العينين، وأخذتني بين ذراعيها قائلة " لا تخف...لا تخف.."ثم ما لبثت أن أخذت تبكي بغصة، تحاول أن تكبت بكاءها ولكنها لا تقدر .

دخلنا المنزل، بحثت عن أمي فلم أجدها " أين أمي؟ أمي...أمي.." عند ذلك مسكني أبي من يدي وأمرني أن أنظر في عينيه ففعلت ثم قال " أنت رجل وتفهم..اسمعني، أمك رحلت ولن تعود، وكلنا سنرحل ولن نعود، تلك هي الحياة " لم أفهم ما قال ولم يترك لي أي فرصة للفهم، أخذني بين ذراعيه وضمني وقبلني، أحسست بدفء وحزن " ما معنى أن ترحل أمي ولن تعود؟ "وأخذت أبكي ولم أصدق ولم أفهم ولن أصدق ولن أفهم، وأصبح لي يقين أن المسألة لا تفسر على هذا النحو وأن هناك مغالطة، أبي وأختي والجيران كلهم مغالطون .

يوم الإثنين نهضت باكرا وساعدتني أختي على الاغتسال ولبس ثياب المدرسة، ثم أطعمتني بيضة وأشربتني قهوة ساخنة، ثم قبلتني وألحت أن أنتبه إلى الدرس. خرجت من المنزل وبعد أن قطعت مسافة هامة وأوشكت أن أصل إلى المدرسة، تذكرت أمي وتذكرت الجماعة المغالطين، وفهمت أنهم يخفونها في مكان ما، وأنها ستكون في المنزل عند خروجي. عدت مهرولا، ولما اقتربت من منزلنا أخذت أمشي ببطء حتى لا ينتبه أحد لمجيئي، دفعت الباب برفق، واسترقت السمع لما يدور داخل الغرف، سمعت حوارا واتضح لي صوت أمي تطلب من أختي أن تسرع في غسل الأواني، فاندفعت بقوة إلى الغرفة صائحا " أمي...أمي.."فإذا أنا أمام أختي والجارة ، فصحت " أين أمي؟ لماذا تخفونها عني؟ أريد أن أراها، لن أغضبها، سأكون مهذبا ولن أعصي أوامرها. أين هي؟"

أجهشت أختي بالبكاء والجارة وضعت يدها على خدها مطرقة ثم قالت: " يا بني، أمك رحلت ولن تعود "

-ومن طلب منها الرحيل؟

-الله ..خالق كل الناس..

-ولماذا ؟

-عندما تكبر ستفهم .

مرت الأعوام وكبرت لكني لا زلت لم أفهم وربما لن أفهم أبدا...

القاص: جواد العوالي من المغرب

الأم بركة

أحيانا لا نحتاج أكثر من ظلّ أمّ، وسكونِ بيتٍ فيه تنبعث رائحة الخبز الممزوجة بالدعاء. أحيانا يكفينا أن نسمع من الداخل صوتها القديم: ولدي (المرضي)، لنُشفى من تعب العالم. الأم ليست حدثا عابرا، بل زمنًا يُقيم فينا، يشبه المطر حين يتسرّب من النافذة، ويرتوي به القلب وإن طال الجفاف. الأمّ ليست شخصية عادية، بل هي كل شيء حين تتيه بنا السبل. لا يوجد أحد في حينا لا يعرفها. كانوا يلقّبونها أم البركة لكننا، نحن أولادها، لم نكن نحتاج إلى لقب كي ندرك حجم النور الذي يسكن وجهها. كنت أراها كل صباح تمسح عتبة البيت كأنها كانت تمسح صدر الدنيا. تقول لي:

- البيت الطاهر يفتح أبوابه للبركة. ولم أكن أفهم آنذاك معنى الطهارة العميقة التي تحدثت عنها. كنت صغيرا، أعدو خلف ظلّها، وأظن أن الدنيا تبتدئ من قدميها وتنتهي عند أهداب خمارها الأبيض. كانت تخيط قميصي المدرسي كل مساء، وتضع قطعة خبز تحت وسادتي عندما أنام، وتهمس بدعاء لم أكن أعيه، لكنني أحسه يحميني في الطرقات، وفي الزوايا الباردة من المدرسة.

كبرت، وتغيرت لم تعد الأم تلك المرأة التي تلازم عتبة الدار، بل

أصبحت نسمة لا تُرى، ووشوشة تمر من ذاكرة إلى أخرى.

سافرتُ، وأقمت بعيدا في مدن لا تعرف أسماءنا.عملت بجد واجتهاد، وأجهدت نفسي في عملي الشاق. أنفقت عمري أجمع المال وأتخلص من نفسي ولم أنبس ببنت شفة.

كانت تتصل بي أحيانًا بصوتها المتهدّج، تسألني: هل أكلت يا ولدي؟

فأجيبها:

ـ نعم يا أمي، كل شيء على ما يرام. وأغلق الهاتف، ثم أسحب نفسا عميقا وأتنهد.

ذات مساء خريفي، عدتُ إلى الديار، كل شيء في الحي تغيّر، حتى الأزقة ضاقت، والروائح تمازجت، لكن غرفتها كانت كما تركتها: سجادة حمراء، مصحف مفتوح على سورة "مريم"،ووسادة عليها آثار السجود.

دخلتُ عليها، فرفعت رأسها بصعوبة، خاطبتني بصوت واهن:

ـ أتيت أخيرا، يا من نسيت أن الدنيا لا تدوم دون أم.

جثوت عند قدميها، قبلتهما كما لم أفعل من قبل، ثم قلت لها:

ـ سامحيني يا أمي.

لم تقل شيئا، لكن دمعة سقطت من عينيها، وأدركت حينها ما لم أدركه في ألف سفر أن من فقد أمّه، فقد الجمال الذي تحدث عنه **مكسيم غوركي** حين قال:" كل شيء جميل في العالم نشأ من قلب الأم" .

اليوم، كلما اشتدّ عليّ الوجع، أتذكر يديها وهي تمسح العتبة، أتذكر القميص المخيط، والخبز تحت الوسادة، وصوتها وهي تدعو لي في على ظهر قلب.

أدركت متأخرا أن الأم ليست فقط منبع الحنان، بل هي الحنان كله، وأن العالم من بعدها يصبح ناقصا، باهتا، بلا قلب...

.

القاص:يحيى زروقي من المغرب

الزيارة

مع كل جمعة، قبيل بزوغ فجر يوم جديد، تنطلق الأم مصطحبة وليدها الذي لم يتعد الخامسة من عمره إلى المقبرة حيث يرقد الأب؛ فقد مات جراء سكتة قلبية. كل أسبوع تقطع الأم ثلاثة كيلومترات مشيا دون خوف. شخصيتها تحدث عنها حتى الرجال، نظرتها ثاقبة، بريق عينيها يدل على ذلك، لاتتكلم كثيرا. كان طفلها يخشى أن يصارحها بتعبه، أو يطلب منها أن تحمله على ظهرها كما كانت تفعل قبل الفطام. أمله الوحيد أن يصل إلى "الولي الصالح" لأول مرة في حياته، و ينال شيئا من بركاته وكراماته. هكذا كان يسمع أمه تردد لازمة إحدى صويحباتها. أسئلة كثيرة كانت تتصارع داخل رأسه الصغير، والوقت لايساوي عنده شيئا، إذ لم تكن هناك ساعة في البيت، فالأب مات فجأة، ولم ترث الأم عنه سوى الفقر والعوز: أربعة بطون جائعة، وأفواه مفتوحة، وجحر عفن. لقد تخلى عنهم حتى الأقارب كأن بهم الجرب. أقسمت الأم أن تتحدى الجميع، وأن تصبح الأب والأم معا. كثيرا ما راوده إحساس أن أمه تشبه الرجال. لم تكن تضطجع. استيقظت باكرا، واستغربت؛ لأنها لم تسمع لزوجها سعالا هذا الصباح، أو حتى صريرا صادرا عن الباب المغلق، فاضطرها فضولها إلى اقتحام الغرفة المظلمة، إذ هي لم تلجها منذ سنين. كانت الغرفة كلها قذارة فهي لا

تصدق أن إنسانا كان يسكنها، فالرائحة كريهة، والأغراض مبعثرة في كل أرجائها، إنها تبحث عن زوجها وسط هذا الركام. فجأة أبصرت شيئا جامدا ملقى على الأرض لا يصدر نفسا، ترددت في الاقتراب منه، كانت الرائحة مقززة وعفنة. أخيرا استجمعت قواها واضعة منديلا على أنفها إلى أن عثرت على جثة الزوج، حركتها عدة مرات، فأيقنت أنه فارق الحياة أخيرا. لقد انتظرت موته منذ سنين، زفرت زفرات متتالية، وأحست أن حملا ثقيلا طلقته إلى غير رجعة.

تقسو أو تضرب، لكن شخصيتها الحازمة كانت تسد فراغ الفقيد. وأخيرا وصلا المكان الموعود، سمع أمه تردد هذه اللازمة "السلام عليكم، أنتم السابقون ونحن اللاحقون"، ولم يكن يفقه مدلولها حتى سمعها من إمام المسجد العتيق . عينا الأم تبحثان بين القبور عن مرقد زوجها الذي مات شابا . لطالما وعدها بأن يعوضها سنوات الحرمان، وسنوات غيابه عن البيت بحثا عن عمل، فكانت تصدقه دائما وتحبه. وكان الطفل يثق في كلامها، فهي الشخص الوحيد في حياته، حرمت نفسها من كل شيء. كثيرا ماكان يستيقظ على ضوء الشمعة الذابلة يسمع نحيبها، فيتظاهربالنوم وهي تدرك ذلك. أخيرا عثرت على قبر زوجها، وهو عبارة عن بقايا تراب، وصخرتين عند رأس القبر وعند أخمصه. سقت القبر بماء حملته معها من البيت، وسمعها تتلو الفاتحة، وبعض الأدعية. كان يراقب حركاتها بشغف وهي منحنية الرأس،

تذرف العبرات، وتتنهد بعمق، لكن دون أن تصدر أزيزا، وبسرعة فائقة مسحت دموعها بمنديل أبيض، عبارة عن مجرد قطعة قماش للمرحوم مازال يحتفظ برائحة العرق، وحين أحست أن ابنها يرمقها استجمعت قواها، وصاحت في وجهه: "هيا لنعد إلى البيت فقد تركنا إخوتك دون فطور". الطفل الصغير لم تعد قدماه تحمله، فالعودة معناها قطع مسافة ثلاثة كيلومترات من جديد بعد خروجهما من المقبرة صارت الأم تحثه على السير؛ فقد كان يخشى أن يصارحها بأن قدميه قد تورمتا، كما أن حذاءه تمزق، وصار عرضة للأشواك والحجر المسنن. التفتت الأم نحو ابنها، وصرخت في وجهه: "هيا أسرعْ". إنها تدرك أن الجوع يقطع أمعاءه، والتعب يمزق أعضاءه. كان مندهشا من سر قوتها، من أين تستمدها؟ ألا تتعب؟ ألا تجوع؟ أوليست آدمية مثلنا؟ كلها أسئلة كانت تدور في خلده، لكنه لم يجد لها جوابا. أصبحت المسافة بينهما بعيدة، فاضطر للجلوس على صخرة ليسترد أنفاسه، فشعرت الأم بذلك، ورقت لحاله، ثم قررت أن تحمله على ظهرها، وقالت له: "من الآن فصاعدا، لن تصحبني إلى قبر والدك ".

القاصة: محو خديجة من المغرب

حلم أم وابنتها

فاطمة من الفتيات المجتهدات، تدرس بجد وتفان، محبوبة لدى أساتذتها وزملائها، فهي تلميذة ذات أخلاق حميدة. ذات صباح وهي ترتدي زي المدرسة، وبينما أمها تعد لها طعام الفطور، سمعت صوت أبيها عاليا يناديها، أسرعت نحوه، لوح لها الأب بيديه ،مكفهر الوجه، فرائسه ترتعد ، ثم خاطبها قائلا:

ـ لن تذهبي اليوم إلى المدرسة، كفى ماتعلمته حتى الآن، الفتيات ليس من الضروري أن يتممن الدراسة، فمآلهن في آخر المطاف الزواج وإنجاب الأطفال! تسمرت فاطمة في مكانها مشدوهة مما تسمع، وهي المحبة للدراسة والتعلم، أجهشت بالبكاء سمعت الأم نحيبها، سألتها باستغراب :

ـ مابك يابنتي ؟

أجابتها فاطمة:

-ألم تسمعي يا أمي ماذا يقول أبي؟

لامت الأم زوجها، على قراره المفاجئ، ولماذا اتخذه بمفرده، ولم يتشاور معها ومع ابنتهما، فرد عليها قائلا:

-قلت لك: كفى ! لن تعتب باب البيت بعد اليوم، ستمكث فيه لتساعدك في أشغال

البيت وفي تربية إخوتها الصغار! ردت الأم مقطبة جبينها ويداها ترتعشان، والدموع متحجرة في مقلتيها وصوتها يكاد يختنق، فهذا القرار شكل لها ولابنتها صدمة العمر.

- ومن قال لك أنني في حاجة إلى مساعدتها؟ دع البنت تتعلم وتدرس طالما أنها مجتهدة وتحصل على علامات جيدة، يجب أن تشجعها وتفتخر بها، لا أن تحطم قلبها وتمنعها من الدراسة، فصديقاتها كلهن يدرسن، ويطمحن إلى مستقبل مشرق، لماذا لا تكون ابنتنا مثلهن؟

انصاعت الأم والابنة لقرار الأب مرغمتين، فلا سبيل إلى تغيير هذا المصير المفروض عليهن قسرا، توالت السنين والأعوام وفاطمة تشتغل بالبيت مع أمها، أحيانا تذهب لتتعلم بعض الأعمال اليدوية، لكن فاطمة لم تقتنع بهذه الأشياء وظلت فكرة الدراسة تروادها دائما، فحبها للعلم والتعلم كان يسري في دمائها، كانت مولعة بقراءة المجلات والكتب بأنواعها، إلى أن قررت العودة إلى مقاعد الدراسة، حصلت على شهادة البكالوريا حرة، ثم تسجلت في الكلية ، وحصلت على شهادة الإجازة، بمعدل مشرف جدا، وبعدها الماستر ، ثم الدكتوراه، كانت أمها رفيقتها في شغفها، تشجعها وتدعمها بالدعاء، فكل نجاح حصلت عليه، كان نجاحا لها ولأمها. ألبست الأم ابنتها تاج العلم الذي لطالما حلمت به، فوق رأسها فكانت الفرحة بتحقيق الحلم لا توصف لكلتيها، وحمدتا الله على نعمته وكرمه...

القاصة: أمينة نورالدين من المغرب

حقيقة أم حلم ؟

ذات صباح شتوي بارد بينما " عثمان " يستعد للذهاب إلى عمله بعد تناول وجبة الفطور رفقة زوجته " مريم "، أحس بدوار شديد وألم في الرأس يتفاقم رويدا رويدا .. كاد يغمى عليه ويسقط أرضا، لذا جلس على الكرسي الذي ألف الجلوس عليه وهو يربط خيوط حذاءه، قرب البهو المؤدي إلى الباب الخارجي، حين لاحظت " مريم " الأمر أسرعت نحوه قائلة : " مابك "عثمان " ؟ ألم تذهب بعد إلى العمل ؟ ". استنشق الهواء بصعوبة ومشقة، ونظر إليها ببطء بوجه شاحب ، وعينين شبه مغمضتين، وعرق غزير يتصبب من جبينه إلى باقي جوارحه المرتعشة ، لم يقو حتى على النبس بحرف واحد، أشار بسبابته بمعنى " لا " ، أحست " مريم " إحساسا لم تحسه قط من قبل ، وقبل أن تكمل تهيؤاتها وما كان يجول في خاطرها حتى لفظ أنفاسه الأخيرة ، هكذا دون سابق إنذار لم تمهله المنية ولو هنيهة وداع ، صرخت " مريم " صرخة مدوية أيقظت جراءها ابنتهما الوحيدة " حنان " من النوم ، وبعض الجيران المخلصين الذين لم يبخلوا بالسؤال عن مصدر وسبب الصراخ ، صرخت " حنان " ذات العقد الواحد ليس إلا ، صرخة يتم ، صرخة وداع أخير.. تساؤلات عدة تغمرها : " لن أراك بعد الآن ، أهكذا هي الموت ؟

هل ستعود يوما، هل ستطرق الباب غدا ؟ هل ستحمل الهدايا وكل ما أوصيها به صباحا لتأتي به مساء ؟ ،هل ستطلع على نتائجي المدرسية ، فتشجعني ، وتنبهني على أخطائي وهفواتي ... ؟ " ، اِلتفتتْ إلى أمها المكلومة ومن هول الصدمة عانقتها ، قبلت جبينها عدة قبلات ، ومسحت خديها دموعا متصلبة من حر الفراق ، من ألم الوداع والجفاء .. وزرعت آمالا وغرست وعودا مواساة لأمها : " مات أبي لكن مازلت أنا معك والله دوما معنا " ، اتكأت باكية مطمئنة على حضن أمها ومن حين لآخر تعيد تقبيل جبينها ، رأسها ، خديها ويديها قاصدة رضاها ، راجية من الله العلي القدير الرحمة والمغفرة لوالدها العزيز ، وتعد أمها بغد مشرق بأن تكد وتجتهد للحصول على نتائج مدرسية جيدة ، تخولها الولوج إلى مدارس عليا، وبعد ذلك وظيفة مهمة تسعد بها رفقة أمها التي ترملت وضحت بريعان شبابها من أجلها ... استيقظت " مريم " من سبات عميق أقرب منه إلى الموت، على وقع طرق باب المنزل؛ هرولت نحو غرف المنزل لتفتش عن " عثمان " و " حنان " فلم تجدهما فالزوج في عمله والابنة في المدرسة ، حينها أدركت أنها كانت تحلم بكوابيس مزعجة وهي نائمة ، ما إن تنفست الصعداء حتى أعيد طرق باب المنزل للمرة الثانية أو الثالثة... أسرعت لفتحه فإذا بها أمها أتت لزيارتها بعد شهور عدة من الغياب في بلد آخر ، يا للمفاجأة! " مريم " اغرورقت عيناها فرحا وعانقت أمها بشدة ، قبلت يديها وخديها وطبعت على جبينها قبلة طويلة تحمل شوقا وحبا وكأنها تهمس في أذنها : " رضاك يا أجمل مخلوق في الكون ... مجيئك حقيقة أم حلم ؟ ، لا تدعيني أمي فأنا لن أدعك بعد

اليوم ، سنعيش سويا رفقة زوجي وابنتي سعداء ما تبقى من العمر، وسأعوضك ما مضى، وستعوضيني الحنان الذي افتقدته وأنا بعيدة عنك، وسأطبع كل صباح ومساء قبلات على جبينك الغالي، وهي لا تشبه سائر القبلات.. أحبك أمي الحبيبة.

القاصة: خديجة آلاء شريف من المغرب

تاج الأكوان

لم يكن البيت الذي وُلدتُ فيه مكسوًّا بالحجارة فقط، بل كان مغلّفًا برائحة الياسمين، ودفء امرأة لا تنام إلّا على نبضي. كانت أمي كل شيء بالنسبة لي، هي كل المعاني التي يمكن كتابتها، وكل القصائد التي لا تُنشد. لم تكن تملك تاجًا من ذهب، لكنها كانت تملك قلبًا إذا نبض، أزهر الكون.

في طفولتي، كانت تسهر بجانبي حين ترتجف أطرافي من أثر الحمى، تضع راحتها على جبيني وكأنها تمسح الألم بالرحمة. لا ترفع صوتها، لكنها ترفعني إلى السماء بدعائها. همست لي ذات ليلة، وأنا أقاوم الحمى: "أنت وردة الأقحوان... والعطر الذي لايأفل." لم أفهم المعنى آنذاك، لكنني نمت على تلك الجملة كما ينام العصفور على غصنه المعتاد هادئا مطمئنا.

كبرتُ، وأسرتني الحروف. كنت أقرأ الشعر بشغف، أتنقّل بين المعلقات ودواوين العاشقين، أبحث عن أنثى تشبه أمي فلم أجد مثلها. كانت أجمل من

اللؤلؤ، وأصفى من الزبرجد، وأحنّ من القصائد نفسها.هي الحياة إذا ابتسمت، والوطن إذا احتضن أبناءه.

ثم ج..جاء السفر.

سافرتُ من أجل الدراسة، وودعتني وهي تُقبّل جبيني وتقول: "اذهبي

وابني مستقبلك، فسوف أراكِ من بعيد."

كنت أتصل بها كل ليلة، أسمع صوتها، وأشكو تعب المحاضرات وزحمة المدينة. كانت تُخبئ تعبها عني بصوتٍ ناعم، وتُنهي المكالمة دومًا بجملة: "لا تنسي أن تلبسي الدثار الذي أهديتك إياه حين يبرد قلبك".

ذات مساء، تلقيتُ اتصالًا غريبًا من أختي: "أمي تعبة.. جدًا. لم تُخبرنا سوى البارحة، أخفت الأمر عن الجميع".

عدتُ على عجل. حين وصلتُ إلى المستشفى، وجدتُها نائمة، شاحبة.. لكن عطرها لم يأفل. جلستُ إلى جوارها، أمسكت يدها، ففتحت عينيها بصعوبة، وهمست: "أنا بخير.. طالما أنك ستُزهِرين".

بكيتُ كأن كل سنوات الفهم والعلم تهاوت فجأة. في تلك اللحظة، شعرتُ أنني لم أكتب يومًا نصًّا صادقًا. كل كتبي، كل محاضراتي، كل شهاداتي بدت ضئيلة أمام يدها المتعبة وهي تمسح دمعي.

جلستُ قربها وفتحت دفتري. كتبتُ كمن يصلّي، لا كمن يسرد:

"لم أجد بين الشعراء من يشبهك. ولا من بين الكرماء من هو أكرم منك، يا من علمتني كيف أتخطى الحياة دون أن أضيع. يا من كنتِ الحنان إذا تنفّس، والحب إذا تجلّى، والوطن حين نُنفى. عذراً على تأخّري.. عذراً على بعدي رغم قربكِ... سامحيني، فأنتِ سرّي، وتاجي، ونور حياتي".

حين أنهيتُ الكتابة، رمقتها بنظرة عطف .. كانت لا تزال تبتسم، كأنها تُبارك كلماتي. لم أعد أعرف هل كانت تلك لحظة وداع، أم لحظة ميلاد جديدة، أنا التي لم أدرك أنني كنت أعيش تحت ظلال ملاك.

منذ ذلك اليوم، لم أعد أكتب شعراً.. بل أكتب سيرة امرأة واحدة فقط. أمي.. وردة الأقحوان التي لم ينطفئ سراجها.

القاصة: فاطمة يشوتي من الأردن

أمي في زمن الإحتلال...

بين الشمال والجنوب تمزقت عائلات، وتفككت أسر، منهم من استشهد ومنهم ضاع أثناء رحلة التهجير، فالاحتلال لم يترك وسيلة من الوسائل الخبيثة إلا واستعملها...

أسرة الخالة أم عامر واحدة من هؤلاء الأسر، ذاقت العذاب والفقر وأبشع أنواع الجرم، خلال رحلة التهجير والقصف الإسرائيلي، ضاعت بوصلتهم..تشتتوا وتفرقوا ...

أبو عامر وأم عامر والطفلة سحر بقوا مع بعض، لكن عامر ضاع في زحمة القتل والتنكيل...

حين هدأ الوضع، لم تعثر أم عامرعلى ابنها، جن جنونها وتضاعف نواحها، فالمصيبة كبيرة، وفراق الضنى والديار لم يكن في الحسبان، أما عامر البالغ من العمر خمسة عشر سنة ، فقد بحث عن أهله في كل مكان، يسأل عنهم هنا وهناك، لكن دون جدوى، وبين ليلة وضحاها أضحى وحيدا كأمثاله من المتشردين وهم كثر...

عامر يكد ويجد للحصول على رغيف وقطرة ماء تسد جوعه، حتى يظل صامدا للبحث عن أهله .

أما الأهل فقد تدهور حالهم، في إحدى الغارات استشهد أبو عامر والطفلة سحر، وبقيت أم عامر تندب حظها العاثر وتبكي مصابها الجلل. رغم المحن لم تفقد أمل العثور على وحيدها الضائع بين الركام، قلب الأم لا يهدأ ولا ينام، تسأل الناس هنا وهناك حاملة قنينة ماء وكيسا به بقايا فتات الخبز، الخير والصبر خصلة مزروعة في قلوبهم، كشجر الزيتون الذي وقف ولا يزال شامخا في كل بقاع فلسطين...

انقضت الأيام.. مرت الشهور.. السنوات... والمعاناة مستمرة، والعدوان يقتل الصغير والكبير ولا يرحم أحدا، والتهجير دائم من مكان لمكان، حتى وصلت أم عامر مستشفى عدوان مصابة بشظايا الاحتلال، لم يعد يهمها الوضع الذي هي عليه بقدر اشتياقها لفلذة كبدها عامر...

خلال هذه الأثناء عامر بالجوار يقدم يد المساعدة للمصابين، وبينما هو على ذاك الحال، سمع صوتا خافتا يرن في أذنه إبني.. إبني... عامر.. عامر، اِقشعر بدنه، تجمد مكانه، يفتش عن مصدر الصوت بنظرات عينيه الدامعتين، يصغي من جديد.. من أين هو آت؟ فجأة رمق شاش أمه الأبيض المطرز بألوان علم فلسطين وأغصان الزيتون المحفور في ذاكرته، كان هدية من والده لأمه في عيد ميلادها الثلاثين، هرع إليها ودموع الفرح تنهمر كالسيل الجارف على وجنتيه التي حرقتها أشعة الشمس وشققها صقيع البرد، أمي.. أمي الغالية.. ارتمى في حضنها يقبل جبينها ويديها، وهي مصدومة بهذا اللقاء أخذت تصرخ... ولدي.. ولدي.. عامر.. الحمد لله الذي مد في عمري حتى رأيتك، الحمد لله.. الحمد لله...

احتضنها عامر بكل اشتياق يقبلها ، ماترك مكانا إلا وبله بالدموع، وعلى لسانه أيتها الغالية..أيتها الغالية..كيف الحياة بعدك ومن بعد فراق الغوالي، الدموع بدأت تنسكب من مقلتيه كحبات المطر، والأم تردد على لسانها ولدي.. ولدي.. لك الحمد والشكر ياالله...لك الحمد والشكر ياالله... وفجأة زهقت روحها وتركته كالأهبل لا يدري ماذا يفعل...

وهكذا ظل عامر يقاسي مرارة الفراق...

فراق الأهل والأحباب والأصحاب والديار، فراق وطن نهش فؤاده الاحتلال، وقصته هاته ليست الوحيدة، بل ما يماثلها بعدد حبات الزيتون الرابضة على أرض فلسطين الحبيبة...

القاصة: زينب العيناني من المغرب

شهادة عرفان بالجميل

أمينة امراة مكافحة، أرملة توفي زوجها وهي في ريعان شبابها، مخلفا وراءه أربعة أيتام، رفضت الزواج من أجل فلذات أكبادها، كانت تسهر الليالي منكبة على آلة الخياطة لتوفر لهم لقمة العيش، لم تبال بالتعب ولا بالسهر، ولم تدخر أي جهد ليكمل أبناؤها الدراسة، وتوفر لهم جميع متطلباتهم. كانت دوما تشتري لهم الأدوات والكتب، وتصر على تغليفها، كانت تخيط لهم الملابس بيديها، و تفرح حينما يرتدونها، لم تنس فاطمة بنتها الكبيرة، دموعها التي تخفيها لكي لا تكسر قلوبهم، كانت دوما تحرص على سعادتهم، سقت بحر طموحهم من نهر حزنها وهمومها، كانت تشجعهم دوما على السير قدما لتحقيق الأحلام، احتفلت بنجاحهم ، وحرصت على شراء هدايا لهم، لم تفكر يوما في نفسها، كان همها الوحيد أولادها - الأمانة التي تركها لها زوجها- لم تنس وصيته لها وهو يحتضر: اعتني بالأبناء، فهم أمانة في عنقك.

كانت أمينة تجهش بالبكاء عندما ترى نجاحاتهم، مرت السنون، و تخرج الأبناء و تقلدوا مناصب عليا، أصبحت آلة الخياطة تشهد على كفاح أمينة، رفضت مغادرة منزلها الذي يحمل ذكرياتها الزوجية، أصبح أبناؤها يرتادونه لرؤيتها كل يوم، وذات يوم فاجأها أبناؤها بتذاكر الحج، كانت أمينة فرحة لارتياد ذلك المقام، كبرت الله وشكرت الله على كرمه، تكفلت بعد ذلك ابنتها

فاطمة بأداء تكاليف العمرة في رمضان كل عام ، شهادة عرفان بالجميل خطتها بقلم من نور، لتزرع الابتسامة على محياها، بعد أن كانت تكفكف الدموع ينابيع لتزرع الفرحة في قلوبهم، بذور خير زرعتها وسقتها من حنانها و تعبها، لتترعرع و تثمر، وتستظل في النهاية بظلها، فما أجمل تضحية الأم في سبيل سعادة الأبناء، و ما أعظم اعترافهم بالجميل، فالمشاعر الإنسانية كنز ثمين لا يقدر بثمن، ولا يمكن البتة العيش بدونه، دواء للروح ، وسند للظهر وصدقة جارية تبقى في سجلنا إلى يوم الحساب، فلنرحم أمهاتنا وآباءنا ليرحمنا العزيز القدير، و لنسلم من عذاب النار الذي ينتظر كل عاق ناكر للجميل، امتطى العصيان، وتنكر لكل جميل وللعهد خان.

القاص: عبدالكريم حنون السعيد من العراق

أُرْدُدْ عَلَيَّ وَلَدِي ...

لم تترك الحرب بيتًا من بيوت المدينة إلا ورفعت فيه راية للحزن. رغم أن الحروب ظالمة، ولكنها عادلة في توزيع الكروب على الناس. ولم تكن والدة سمير بعيدة عن أجواء الحرب، وفلذة كبدها الوحيد كان هناك في ميدان المعركة.

عاش سمير يتيمًا عندما كان عمره خمس سنوات، استشهد والده في معارك الجيش العراقي في فلسطين. وقد كانت أم سمير تحسب الساعات من أجل عودة ولدها الوحيد سالمًا، بعد أن قررت الدولة سحب الجنود وحيدي العائلة إلى خارج ميدان الحرب، ولكن تأخر تنفيذ القرار.

كانت أم سمير تتسمر أمام صوت المذيع، الذي ينقل أخبار الحرب لحظة بلحظة، وتتابع الأماكن التي تتعرض إلى هجوم العدو. لم تترك الدعاء لحظة من أجل سلامة ولدها سمير، كانت تكرر دوما "يا راد يوسف إلى يعقوب، اردد إلي ولدي سمير."

أكثر ما كان يقلقها هو تأخر قرار عودة ولدها بسبب تطورات الحرب، خوفًا من أن يلغى القرار أو ربما قد يحصل مكروه لولدها قبل تنفيذه. كان الجيران وسكان المحلة يحاولون طمأنتها رغم قلقهم أيضًا على أبنائهم، ولكن حالة أم سمير يرثى لها، فهي ممزقة بين القلق والخوف على ابنها سمير.

عندما كانت ترى مشاهد قوافل التوابيت تتوزع على المدن، وتخرج العوائل لاستلام جثامين أبنائها! كانت أم سمير تقف أمام تلك السيارات المحملة بالنعوش، وهي تسمع أسماء الجنود القتلى، وكلما ذكروا اسم سمير سقطت على الأرض مغشيًا عليها، ثم يهرع الناس اتجاهها ليخبروها أن الجندي المقتول ليس سمير ولدها، بل هو سمير آخر، تشابه في أسماء فقط. ولكن لم تصدق كلامهم، فتذهب إلى الضابط لتحثه على إعادة قراءة الأسماء من جديد...

استمرت أم سمير على هذا الحال حتى وصل إلى سمعها خبر تنفيذ قرار عودة وحيدي العائلة إلى داخل المدن. لم تتمالك نفسها من شدة الفرح، فأخذت تزغرد! وكانت جمهرة من الناس تحيط بها ليهنئوها، أخذت تجهز نفسها وتعاود ترتيب البيت لاستقبال سمير، بل وبدأت تشغل نفسها باختيار عروسة جميلة لولدها سمير.

في اليوم الثاني، وصلت قافلة الجنائز وهي تحمل نعوش الجنود القتلى، وكان الضابط يقرأ الأسماء أمام الجمهور المحتشد أمام القافلة التي تحمل النعوش، فنادى باسم سمير، وهو في قائمة الأسماء، أصاب الجميع هلع عميق وأسى شديد، أصابتهم الحيرة حول الطريقة التي سيخبرون بها أم سمير بهذا الخبر الصادم والحزين، لأنها كانت غير حاضرة معهم هذه المرة في استقبال النعوش، كانت تنتظر عودة ولدها قريبًا، لتحتفل بزواجه من ابنة الجيران...

اتفق الجيران مع الضابط ليذهب بنفسه معهم إلى بيتها ليخبرها بالخبر، وعندما طرق الضابط الباب، خرجت إليه أم سمير، وبعد أن سلم عليها، تلعثم لسانه وكانت تتفحص وجهه ووجوه الجيران الذين حضروا معه، وقد ارتسمت صورة الفرح على وجهها وبانت أسارير السعادة على ملامحها، ولكن بعد لحظة قصيرة من الصمت، تشجع الضابط أخيرًا، وقدم لها العزاء بفقد ولدها سمير.

ابتسمت في وجه الضابط ابتسامة بريئة، حتى بانت أسنانها، فأصابتهم الدهشة والذهول، وظنوا أن المرأة قد أصابها مس من الجنون، فقالت له:

- يا ولدي إن سمير موجود داخل البيت، وقد عاد من وحدته العسكرية قبل ساعتين، وهو الآن يتناول فطوره، ثم أدارت وجهها إلى داخل البيت ونادت على ولدها سمير ليكلم الضابط.

حضر سمير وسلم عليه، وتبين أنه حصل تشابه في الأسماء، كما يحصل عادة في الحروب، وقدم سمير إلى الضابط هويته ورخصة الإذن، ووثيقة نقله إلى وحدته الجديدة...

وبعد مغادرة الضابط و الجيران، التفت إلى أمه واحتضنها برفق وحنان وقبلها على جبينها...

ابتسمت هي الأخرى وهي ترفع يديها إلى السماء شكرا لله على عودة ولدها سالما غانما...

القاصة: سعاد برمضان من المغرب

حين تحضنني أمي

كـان محمـد فتـىً نجيبـا، لا يـتم ذكـر اسـمه فـي مدرسـته إلا مقرونـا بـالتميز والاجتهاد. منذ نعومة أظافره، عُرف بذكائه و همّته العاليـة، وكـان يحلـم، كمـا أمـه، بمستقبل مشـرق يتوّجـه النجـاح. لـم تكـن علاماتـه مثاليـة دائمـاً، لكنهـا كانـت شـاهدا حقيقيا على اجتهاده الدؤوب.

في صبيحة يوم غائم، حملت الرياح خبراً لم يكن في الحسبان. عـاد محمد من المدرسة يجرُّ خلفه صدمةً لا تُحتمل، وقد بان على وجهـه شـحوب لـم تـره أمـه من قبل. رسَب محمد في امتحان البكالوريا. لـم يصـدّق، لـم يفهم. بكـى وصـرخ، كذّب النتائج، وانهار كطفل ضاع منه حلم العمر في لحظة.

وقفـت أمـه رحمـة، كظـل شـجرة حنـون، تـداعب رأسـه المرتجـف، تُخبئـه فـي صدرها كمـا كانـت تفعل حين كـان صـغيراً، حـين تخيفـه العتمـة. لـم تتمالك نفسها وضمته إلى حضنها، فقد رأت فيه وجعاً أعمق من أي كلمة عزاء.

لكن محمد لا يريد أي شيئ. صمت وانزوى في غرفته، أغلق الباب عليه كما. ظلّ هناك، لا يأكل، لا يتكلم، لا يرفع عينيه عن الأرض، كأن الحياة أدبرت عنه..

فـي المسـاء، عـاد الأب مـن عملـه. ومـا إن علـم بـالخبر، حتـى استشـاط غضباً،اقتحم غرفة ابنه دون طرق الباب، وانهال عليه بكلمات قاسية هدت كيانه:

"لقد خذلتني! ماذا سأقول للناس؟ أنفقت عليك الكثير، تعبت من أجلك، وفي النهاية ترسب؟! انظر إلى نزار، صديقك، لقد اجتاز الامتحان بنجاح"!

ارتجف محمد، ولم ينبس ببنت شفة. أما والدته رحمة، فحاولت التخفيف من غليان زوجها، وأسرعت على وضع شيء من الحنان بين نيران الغضب، لكنه لم يُمهلها. التفت نحوها بصوت جاف مزمجرا:

"اسكتي! أنت من دلله وأفسده"!

سكتت رحمة، ليس عجزاً، بل كي لا تزيد الطين بلّة. لكنها في قرارة نفسها، كانت تعرف أن ابنها لم يُقصّر، وأن قلبه الآن هشّ كزجاج مكسور، وأن صوته، لو نطق، لقال "أنا موجوع."

في تلك الليلة، جلست قرب سريره. لم تتكلم كثيراً، فقط وضعت يدها على كتفه وهمست:

"أنا معك يا بني... حتى النهاية".

وفي صباح اليوم التالي، قررت أن تطلب العون من أخيها نبيل، الذي كان دوماً سنداً لها. حضر الخال على الفور، وجلس إلى جانبه، يحدثه بلطف وروية:

"الرسوب ليس نهاية العالم. بل هو بداية جديدة. ستنهض يا بُني، وسنستعد معاً للدورة الاستدراكية. وأنا واثق أنك ستنجح".

رحمة كانت تراقب المشهد من بعيد، ودموعها تنساب من مقلتيها. رافق محمد خاله إلى بيته، وهناك وجد حضناً دافئا يتلقفه، ودعماً لا مشروطاً من زوجة خاله التي كانت خبيرة بالتنمية الذاتية، فأعادت لمحمد ثقته بنفسه، وحاولت ترميم نفسيته من الداخل.

بدأ محمد مراجعة دروسه من جديد، لكن هذه المرة، بعزيمة أقوى، وروح لا تبحث فقط عن النجاح، بل على إثبات الذات. كانت رحمة تتابعه من بعيد، ترسل له الرسائل، والوجبات، والدعوات، وتُشعل له شموع الأمل كل ليلة.

جاء يوم الامتحان، فخرج محمد إلى قاعة الاختبار برفقة خاله، وعلى وجهه ابتسامة خفيفة تشبه اشراقة الفجر. اجتاز الامتحان، وانتظر النتيجة بثقة التلميذ المتمكن الطموح...

مرت ثلاثة أسابيع ثقيلة، كأنه يمشي متكئاً على العكاز. وفي صباح اليوم المنتظر، جلس محمد أمام الحاسوب، وخلفه أمه، رحمة، تقبض على قلبها بكلتي يديها. فجأة، انطلق صوت محمد في البيت، صافياً فرِحاً:

"ماما! ماما! نجحت! أنا نجحت"!

احتضنته احتضان الأم لابنها، بكت وبكى معها. لم تقل شيئاً، فقط تمتمت: "الحمد لله."

أما الأب، فقد ندم كثيراً على قسوته، اقترب من ابنه وابتسم بتأثر، قائلاً:

"كنت أعلم أنك ستفعلها يا بطل ."

ابتسم محمد وقال: " كنت خائفاً ألا أكون كما تتمنين أمي. أردت أن أكون ما تأملينه مني ، لا ما أود تحقيقه".

رفعت رحمة رأسها، وقالت بهدوء:

"الفشل ليس نهاية، بل طريق لا بدّ أن نمر به لننضج ونكبر. لم يكن محمد فاشلاً أبداً، بل كان يحاول أن يرضينا جميعاً. واليوم... علينا أن نرضى به كما هو، فهو ابننا، نجاحه الحقيقي هو يكون سعيداً بما يفعل".

في تلك اللحظة، أدرك الجميع أن الأم كانت وحدها من رأت الحقيقة بحدسها من البداية. كانت نبع الرحمة في زمن القسوة، ورفيقة الدرب في رحلة الانكسار والتعثر...

القاصة: صابر فاطمة من المغرب

قبلة على جبين أمي

أشعةُ الشمس ترسل خيوطها من نافذة غرفتها، مخلفةً شعاعًا ذهبيًّا لامس جبينها وهي تغفو على سريرها. وقفتُ أتأمل ملامحها التي أتعبها الزمن، أتأمل التجاعيد التي خطَّتها السنون على وجهها، أختلس النظر إلى الشعر الأبيض الذي أضفى على ضفائرها لمسةً من الوقار .دنوتُ من سريرها في هدوءٍ تام، خوفًا من أن أجهض حلمًا كانت تسبح في سحره. كانت أجمل أحلامها أن ترى والدي - رحمة الله عليه - جالسا في إحدى زوايا البيت، يستقبل ضيفًا، أو راكبا صهوةَ جواده المفضل، متجولًا جولته الصباحية .

كانت أمي تنتظر تلك اللحظة بقلبٍ خفَّاق. كل ليلة، تغمض جفنيها وتتمتم بدعاءٍ خفي، لعلَّ الباري يمنُّ عليها برؤية وجهه، ولو لثانيةٍ واحدة. تثاقلت في خطاي حتى لا أسحبها من حلمها الذي تدبُّ معه دبيبَاتُ السعادة، اشتاقت نفسُها إليها لسنواتٍ خلت، منذ رحل والدي إلى دار البقاء.

رفعتْ رأسها بلهفة، والابتسامة تداعب محياها. حدقت في وجهي مليا، ثم همست: "رأيتُ ظلَّ أبيك واقفًا بجواري، يبتسم في وجهي كعادته. كان يرتدي ثوبه الأبيض المفضل، وحوله أنوارٌ تتلألأ خفيفة كالشفق. يركب صهوة فرسه الأدهم، شامخًا كما عهدناه، يلتمس مني -كعادته- إعداد صينية الشاي بكؤوسها المزركشة؛ لاستقبال صهرنا الحاج محمد، الذي كان يجد متعةً في مجالسته وتجاذب أطراف

الحديث معه عن المواشي والأسواق الأسبوعية، التي كانت عشقهما الذي لا ينتهي ".

استرسلت أمي حديثها فقالت:

ابتسم أبوكِ في وجهي وقال لي بنبرةٍ تفيض حنانًا: "أتذكرين يا رحمة أيام الشباب؟ أتذكرين ضحكات الأولاد وهي تصل إلى ضفة الوادي، وتحمل معها فيضًا من الغبطة وألوانًا من الحبور؟" وذكرته بدوري بتلك المشاجرات الصغيرة التي نشبت بيننا، والتي صارتْ اليوم من أغلى الذكريات .

همس في أذني قبل أن يختفي: "ستجدينني هنا كلما راودك الشوق، مع طلة نسيم الفجر، وزقزقة العصافير الصباحية ".

خنقتني العبرة للحظات. تذكرتُ حينها والدي، استحضرتُ روح الذي كان سندي بعد الله، غاب، وغابت معه ابتسامتي .

انحنيتُ وقبَّلتُ جبين أمي برفقٍ لأمحو قساوة الذكرى. نظرت إليَّ بحنو وحب، وابتسمت لي. لم تقل شيئًا، لكن عينيها حكتا قصصًا لا حد لها ...

وحينها، تراقص شريط من الذكريات في مخيلتي. تذكرتُ أنني نسيتُ أن أشكرها على ما بذلته من جهد. تذكرتُ كل المرات التي أغضبتُها أو قسوتُ عليها بكلمةٍ جارحةٍ دون قصد. تذكرتُ أنها طوت سنواتٍ من عمرها لتربيني. تذكرتُ أنها الشمعة التي احترقت لتنير دربي !

احتضنتُها بقوةٍ دون تردد، وهمست في أذنها: "أحبكِ يا أمي." انشرحت أسارير وجهها وهي تمسح دمعةً ساخنةً سالت على وجنتها اليسرى ثم قالت: "وهل شككتُ يومًا في ذلك؟"

القاص: عبد الخالق فتحي من المغرب

قبلة على جبين أمي

كانت شمسا لامعة في حياته، تنير بابتساماتها كل الجوانب التي تكتنفها ظلمة ليال باردة مثل صقيع يغطي جنبات طريق موحشة. لم تكن تدعي فهم الأشياء، ولا إيجاد حلول لأشياء معقدة ببساطتها التي تصل حد السذاجة أحيانا، كانت تملأ نقط الفراغ بما يناسب المقتضيات إلهاما وتوفيقا .. كان بريق عينيها المتوهجتين يدله على أنسب المخارج حين تعترض سبيله متاهات مربكة..

يذكر أن أمه التي لم تعرف طريقا إلى المدرسة، ولا كيف تخط حرفا من حروف الأبجدية، كانت تمتلك توفيقا ربانيا، أكسبها محبة غير عادية، كانت بتلقائياتها وعفويتها تفتح بابا يسع كل الناس، لم تكن تبني علاقاتها على أسس يراها المجتمع معايير انتقاء في بناء العلاقات، كانت تستوي عندها المراتب الاجتماعية، وكان يستغرب هذا الفعل في زمن طغت فيه تقاليد وأعراف، تصنف الناس درجات ومراتب، على قياسات دنيوية لا تمت إلى الدين بصلة.

حين كان يضع رأسه على فخذها لتمسح بيديها على شعره الأسود، كانت أصابعها تغطي كل مساحات همومه، يجد فيها حلاوة تنسيه كل شيء، فيغفو أو ينام، فتنسحب على طرفي أصابعها دون أن تزعجه ...

القاصة: وفاء عمر بن صدّيق من اليمن

ذكرى الياسمين

(أين ذَهَبَتْ؟ متى ستعود؟) تساؤلات طرحتها مرارًا لم أجد لها أجوبة شافية سوى وجوه شاحبة، وعيون حائرة، وألسنة مرددة (قريبًا... قريبًا...).

نمت بمفردي في تلك الليلة التي ظننتها ستنقضي بسرعة، لكنها امتدت دهرًا من الانتظار. في كل مساء كنتُ أمارس طقوسي الخاصة ، أضع فستانها الأخضر المخملي بجانبي على السرير، وأرش عطرها الفواح برائحة الياسمين على فراشي، وعندما أتدثر بثوبها، واحتضن مخدتها، أشعر بدفء جسدها، وحنان حضنها، وأغفو على نبضات قلبها.

بحثت عنها في النساء من حولي: ابنة الجيران، أخت صديقي، زميلتي في المكتب المجاور، حتى عندما كنتُ أسافر للسياحة لمدة معينة، كنت أُمَنِّي نفسي قائلًا: لا بد أن أجد عبقها وشذاها في إحداهنّ، لكن بلا جدوى، فالفراغ يكبر داخلي عامًا تلو آخر.

بعدما يئستُ من تكرار المحاولة، قررتُ أن أتابع حياتي بعيدًا عن ذكرياتي معها. لاح بصيص أمل في أفق الخيبة عندما زارتني خالتي مع أسرتها من مدينتها البعيدة بعد غياب عشر سنوات.

بقيت مستيقظًا حينها منتظرًا قدوم الصباح، وعلى مائدة الإفطار بحثُ لجدتي بما يؤرقني قائلًا: أريد أن أتزوجها، نعم لا بد أن أقترن بها... علت ملامحها الدهشة قائلة: من؟ ابنة خالتك؟! لكنها تصغرك بخمس عشرة سنة! ما الذي أعجبك فيها؟ أشرتُ إلى أسفل فمي متلعثمًا: لديها شامة هنا مثلها. تهللت أسارير جدتي معقبة: إذن أنت تبحث عن شبهها؟ أطرقتُ خجلًا، وتدفق الدم في وجهي وأنا أتذكر تفاصيلها. ربّتت جدتي على كتفي، وقالت بصوت حازم: إن كانت هذه رغبتك فعلًا أنا سأتكفل بإقناع الجميع. نظرتُ إليها نظرة الغريق لطوق النجاة، وهززتُ رأسي بالإيجاب.

تمّت مراسم الزواج على عجل، ملأت نسمات الفرح أرجاء المنزل العتيق، وعندما حانت اللحظة الموعودة منحتُ من أصبحت ملاذي صندوقًا موصدا، فَتَحَتْه بيديها المرتعشتين، وبنظرة متوجسة، خوفا من أن يصدق حدسها، أسقطته من بين كفيها كأنه جمرة حارقة تريد التخلص منها، صاحت في وجهي: ‘‘أنا لست هي، اِبحث عنها بعيدًا عني، أنا لن أستطيع العيش مع رجل يريد أن يجترّ ماضيه من خلالي’’، اِنهمر الدمع الأسود من عينيها حتى أغرق قلبها المفطور، خرجتْ مذعورة وصفقت الباب خلفها صفقة أيقظتني من غياهب الوهم.

هشمتُ قنينة عطر الياسمين، ومزقتُ الرداء أخضر اللون، وحشوتهما في الصندوق الخشبي، حملته على ظهري، مشيتُ أميالًا عديدة حافي القدمين، مشيعًا سنين الترقب حتى وصلت إلى مكانها المعهود الذي تهربتُ من زيارته منذ تلك الليلة المشؤومة. دفنت ذلك الحِمْلَ بجوارها.

وفي الهزيع الأخير أقمتُ عزاءها، بكيتُها بحرقة، وسقيت ثراها بدموع الفقد، وصرخت منتحبًا: "أمي لِمَ تركتِني مبكرًا جدًّا."

القاصة: أمل زواتي من الأردن

قلب الأم دليلها

تجمع الأبناء في جلسة خاصةو تهامسوا برفق:

-لن نشعرها بشيء.

نظرات حزن ممزوجة بإصرار فلذات أكباد الخالة هدى بائعة الخضار على الطريق.

لم تكن تعلم أن جلوسها في ذلك اليوم سيؤدي إلى عماها، حين داهمتها سيارة على الرصيف وضربت رأسها على الحائط المجاور.

لم تكن تفكر إلا في توفير لقمة العيش لأسرتها بعد رحيل الزوج رفقة زوجة أخرى، تاركاً الحمل على الخالة، هدى كما دأب أهل الحي على مناداتها...

هذه الأم التي تلفحها أشعة الشمس ترتدي طاقية وتلف شالها ليحمي باقي وجهها كما لو كانت متخفية من شيء ما، تعود كل يوم فتظهر حروق الشمس حول عينيها ويديه،ا لكنها راضية برزقها ورزق العيال.

لكن القدر أخذها لطريق آخر بلا نور، رغم قساوة حرها.

لم يكن فقدان بصر الخالة هدى فجأة، بل بالتدريج، صعوبة في الرؤية وأحيانا بعض الدوخة وتنتهي بفقدان الوعي.

كانت الحادثة بداية لمراحل من الألم والعوز؛ تصر الخالة هدى على الخروج للعمل معصوبة الرأس تناضل في بيع القليل لسد الرمق وأطفالها الثلاثة يُراقبونها في خوف.

ففي كل مرة تعود إلى البيت برفقة إحدى الجارات لعدم قدرتها على حمل سلة الخضار المتبقية إلى البيت بعد الانتهاء من البيع...

تتشارك الأم والأبناء في كل شيء وخصوصا الطعام من الخضار التي توشك على التلف كل هذه التفاصيل خلقت من الصغار وجوهاً أخرى ليقف الجميع لمساندة الأم التي لفظتها الحياة على حافة العمى. تلك الليلة قرر الأبناء أن يكونوا لأمهم العين التي ترى بها وأجمعوا على مرافقتها للبيع.

كانت الأم تسمع تمتمات الأبناء كحلم ، فهي مجهدة مهدودة الجسد.

الليل الدامس كفيل بفرض العمى كلياً على الخالة هدى فتنام هروبا من كل شيء

إلى صباح أقل قتامة.

في اليوم الموالي استيقظت الخالة هدى على صباح مشرق، تماما ليس كغيره فقد سبقها الأبناء لتحضير سلة الخضار، ومنهم من سبقها إلى مكان البيع . قاد الإبن الأصغر أمه وحمل الإبن الأكبر السلة.

كانت حركة الخالة هدى أخف، إنها لا تحتاج لشيء، لقد رأت الطريق إلى منتهاه بقلبها ورأت الغد بعيون البر من أبنائها ...

ولأيام طويلة لم ير فيها الأبناء ابتسامة أولحظة فرح لأمهم...

الآن يستشعرون الرضى من لمسات يديها، حين يقودونها لكي لا تشعر بالحزن على فقدان البصر...

لقد أصبح الأبناء دليلا لأمهم وعيونا ترى بهم الحياة الجميلة...

القاصة: إيمان صغير من المغرب

قبلة على جبين أمي

حل الربيع، أزهر الشجر وذاع عطره. كل المخلوقات تنتشي، وتسبح ملكوت الله، كم هو صغير هذا العالم أمام قدرته و عظمته، ختمتُ كلماتي هاته بتنهيدة طويلة، وكسرت القلم بين أناملي الصغير ة، وقفت وسط غرفتي المليئة بحقائب العائلة كتائهة.. مشيت بخطى متثاقلة نحو الباب، فتحته ، نزلت الدرج وأنا أتمايل يمنة ويسرة، ثم اتجهت نحو غرفة أمي التي كانت مكتظة بالزوار. الكل ملتف حولها ونظرات الشفقة في أعينهم، تزيد من ألم أمي الممددة على الأرض، تتكلم بعينيها فقط ولا أحد يفهمها، بينما أحاول الوصول إليها أدفع هذه وأخرى ليفسحن لي الطريق، سمعت إحدى الزائرات تخاطب إحداهن قائلة: أُنظري إليها.. أمها على فراش الموت وهي غير مبالية، استفاقت على مهلها!

ما إن أكملت كلامها حتى صرختُ في وجه الجميع: أُخرجوا من الغرفة لا أريد ان يبقى هنا أحد؟ امسك بي أبي حاول تهدئتي فقال: لا تقلقي يابنتي إنها بخير.

نظرت إليه بعينيَّ الغائرتين وضحكت بهستيرية، وقلت ما تظنني ياأبي؟ هل أنا طفلة تسكتني بهاته الكلمات أم صرت مثلهم، أنا أعرف أنها اللحظات الأخيرة لأمي...

اقتربت منها وجلست بجوار رأسها، قبلتها على جبينها، وأنا أشتم رائحة الموت القريبة جدا منها، ابتسمت، ظننتها تبتسم لي، فابتسمْتُ لها وقطرات دمعي تنهمرعلى وجهها الأبيض، أغمضت عينيها فجأة، فصرختُ : أمي افتحي عينيك أرجوك أمي أنظري إلي. وإذا ببعض الأقارب اقتربوا مني و حملوني من الرجلين واليدين كخروف ، و وضعوني في غرفة أخرى حيث كان إخوتي يصرخون، وخاصة أختي الصغرى ذات الحادية عشرة ربيعا تضرب رأسها مع الحائط وتقول:

- لمن سأقول أمي.. أُتركوني أموت معها، لم أدر كيف أواسيها.

فقط بقيت أستمع دون حركة، وكأني أتفرج فيلم رعب، بردت مشاعري وأحاسيسي مرة واحدة، توقفت عن البكاء، وانتهى ربيع عمري، إلى يومنا هذا.!!

اختيار النصوص:

الأستاذة مليكة بردال

الأستاذة حورية قاسمي بنعمرو

الأستاذة سومية حنطريز

الأستاذة غزلان النوالي

تدقيق لغوي:

ذ.محمد مهداوي-بركان 10-10-2025

مجموعة من المؤلفين

الشهبي أحمد من المغرب
محمد محمود غدية من مصر
اسماء خوجة من المغرب
سالم المتهني من تونس
جواد العوالي من المغرب
يحيى زروقي من المغرب
محو خديجة من المغرب
أمينة نور الدين من المغرب
خديجة الاء الشريف من الجزائر
فاطمة يشوتي من الاردن
زينب العيناني من المغرب
عبد الكريم حنون السعيد من العراق
سعاد برمضان من المغرب
صابر فاطمة من المغرب
عبد الخالق فتحي من المغرب
وفاء عمر بن صديق من اليمن
أمل زواتي من الأردن
إيمان صغير من المغرب

دار الأدب العربي المغربية الإلكترونية

adabarabi94@gmail.com

+212 688479804